أسس الوطنية ومعالمها ومقوماتها في فكر عبد الحميد ابن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي رحمهما الله

أ.د. مسعود فلوسي
جامعة باتنة -1-

أ. الطاهر براخلية
جامعة باتنة -1-

الملخص:

لما كانت فكرة الوطنية تقدم حلولا جذرية لكثير من المشاكل التي خيمت بظلالها على المجتمعات العربية والإسلامية في العصر الحاضر؛ تعددت وتنوعت الاتجاهات والمساقات التي تعمل على التنظير لها بتعدد وتنوع مشارب ومذاهب أصحابها. وتعد هذه الدراسة أحد الاتجاهات التي تناولت فكرة الوطنية من منظور باديسي إبراهيمي، فهي تتناول تعريف الوطنية لغة واصطلاحا، وتطوراتها التاريخية، وتعرض لموقف الشيخين ابن باديس (ت: 1359هـ) والبشير الإبراهيمي (ت: 1385هـ) - رحمهما الله - من فكرة الوطنية، وتبسط معالمها، وتوضح أسسها التي تقوم عليها، ومقوماتها التي تزيدها تماسكا وقوة وتجعل المتحلي بها مواطنا صالحا متشبعا بروح الوطنية. كل هذا جاء مدعما بأقوال الإمامين الجليلين الموثقة من كتبهما، وقبل ذلك بكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم.

الكلمات المفتاحية: الوطنية، المواطنة، ابن باديس، الإبراهيمي، فكر، معالم، أسس، مقومات.

Abstract:

As the national idea of offering radical solutions to many of the problems that overshadowed a shadow over the Arab and Islamic societies in the present era, there were many and varied trends and courses that run on endoscopy her, multiplicity and diversity of walks and doctrines of their respective owners. The study is one of the trends that dealt with national idea of Badesi Ebrahimi perspective, they are dealing with the national definition of the language and idiomatically, historical developments, and subjected to the position of Sheikh Ibn Badis (died: 1359 Hijri) and Bashir Ibrahimi (died: 1385 Hijri) - mercy of God - of the national idea, and simplify features, and describes the foundations upon which, and its components, which is aided by cohesive strength, and make them a good citizen Almthali permeated the national spirit. All of this was supported by statements Imams Aljalilin documented from their books, and before that the word of God and the words of His Messenger, peace be upon him.

مقدمة:

الحمد لله فاطر الأكوان، خالق الإنس والجان، ثم الصلاة والسلام على أفضل من عَمَرَ الأوطان، محمد النبي العدنان، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان. أما بعد:

فقد أضحت الوطنية سوطا يرفعه كل من لم تَرُقْ له فتوى عالم، أو خطبة إمام، فيرمي صاحبها بمخالفة المواطنة مرة، وبالخيانة أخرى. بل أصبح حق المواطنة يستخدم في بعض الدول العربية ستارا لمساواة المرأة مع الرجل في الميراث والطلاق، وتحريرها من سلطة القوامة، وغيرها من الأغراض المشبوهة، التي حَقق بعضها - وللأسف - أعداء الفضيلة.

ولما كان ما كان، وأصبح الأمر من الخطورة بمكان؛ استوجب الحال تصحيح سوء الأفهام، وتبديد الشبه والأوهام، وذلك من خلال دراسة فكرة الوطنية من منظور علماء الإسلام، وقد اخترت الشيخين الجليلين: عبد الحميد ابن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي - رحمهما الله - ليكونا نبراس هذا البحث وقطب رحاه.

فما موقف كل من ابن باديس والبشير الإبراهيمي من فكرة الوطنية؟ وما معالمها لديهما؟ وما هي أهم أسس ومقومات النهوض بها في نظرهما؟

وسنجيب عن هذه التساؤلات بما يلي:

المطلب الأول: تعريف الوطنية وأهم تطوراتها الدلالية:

أولا: تعريف الوطنية:

أ ـ الوطنية لغة: الوطنية نسبة إلى الوطن، وجمعه أوطان، فالواو والطاء والنون في الكلمة أصل صحيح، يدل على المحل والمكان الذي يُؤوى إليه ويُستقر فيه، فيقال: أوطن فلان أرض كذا وكذا، أي: اتخذها محلا ومسكنا يقيم فيها، ويأوي إليها[1]. وفي الحديث: (نَهَى رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَقْرَةِ الغُرَابِ، وَافْتِرَاشِ السَّبعِ، وَأَنْ يُوَطِّنَ الرَّجُلُ المَكَانَ فِي المسْجِدِ كَمَا يُوَطِّنُ البَعِيرُ)[2]، قيل في معناه بأنه «نهى أن يألف الرجل مكانا معلوما في المسجد مخصوصا به يصلي فيه، كالبعير لا يأوي من عطن إلا إلى مبرك دمث قد أوطنه واتخذه مناخا»[3].

وعليه فالوطنية مأخوذة من "وطني"، نسبة إلى "الوطن"، وهذه النسبة تقتضي وجود منتسِب وهو: "الإنسان"، ومنتسَب إليه وهو: "القطر"؛ وبناء على طرفي النسبة يمكن تعريف الوطنية لغة بأنها: «**تعبير غريزي من الإنسان عن انتمائه للقطر الذي يستوطنه ويحن إليه، بالمحبة، والتفاني في خدمته**».

ب ـ الوطنية اصطلاحا: عرفت الموسوعة العربية العالمية "الوطنية" بأنها: «تعبير قومي يعني حب الشخص وإخلاصه لوطنه، ويشمل ذلك: الانتماءُ إلى الأرض، والناس، والعادات والتقاليد؛ والفخرُ بالتاريخ، والتفاني في خدمة الوطن»(4).

ومن خلال هذا التعريف يمكن استشفاف أربعة أبعاد محورية للوطنية، بمجموعها يكتمل نسيجها، ويعلو هرمها، وهي:

1. البعد الجغرافي: وهو المعبر عنه في التعريف "بالأرض".
2. البعد الاجتماعي: وهو المعبر عنه في التعريف "بالناس".
3. البعد الثقافي: وهو المعبر عنه في التعريف "بالعادات والتقاليد، والفخر بالتاريخ".
4. البعد العملي: وهو المعبر عنه في التعريف "بالتفاني في خدمة الوطن".

وهذه الأبعاد الأربعة لم تكن غائبة في فكر الإمام عبد الحميد ابن(5) باديس - رحمه الله - وإنما كانت حاضرة في ذهنه، وبارزة في قوله، حيث عبر عنها بعبارات بليغة، وألفاظ وافية بالمراد بديعة.

فعبر عن البعدين الجغرافي والاجتماعي بقوله: «إنما يُنسب للوطن أفراده الذين ربطتهم ذكريات الماضي، ومصالح الحاضر، وآمال المستقبل؛ فالذين يعمرون هذا القطر وتربطهم هذه الروابط هم الجزائريون»(6).

فقال "الجزائريون"، ولم يقل "المواطنون"؛ لأنه يتكلم عن الانتماء إلى القطر الجزائري على وجه التحديد، وفي هذا إشارة إلى أن كل من عمر قطرا معينا، وربطت أفراده تلك الروابط، هم المواطنون بحق الذين يحق لهم الانتماء إلى القطر الذي يعمرونه، والتسمي باسمه انتسابا.

في حين عبّر - رحمه الله - عن البعدين الثقافي والعملي بقوله: «والنسبة للوطن توجب علم تاريخه، والقيام بواجباته، من نهضة علمية واقتصادية وعمرانية، والمحافظة على شرف اسمه وسمعة بنيه»(7).

فيبرز البعد الثقافي في جعله العلم بتاريخ الوطن من موجبات النسبة إليه؛ لأنه من خلال دراسة تاريخ الوطن يعرف أفراد المجتمع مكونات هويتهم، من قيم ثقافية، ومعتقدات دينية، وعادات وتقاليد عرفية؛ كما يقفون أيضا على مدى أصالة تراث وطنهم، وشهامة أسلافهم، وبسالة أبطالهم؛ وكل هذه الأمور تشكل نسيجا معرفيا يبعث في النفس محبة للوطن وأهله، واعتزازا بهويته، وفخرا بتاريخه، وتمسكا بمكتسباته، وتفانيا في خدمته، واستماتة في الذب عن حياضه.

أما البعد العملي فيبرز في جعله القيام بواجبات الوطن من نهضة علمية واقتصادية وعمرانية، وكذا المحافظة على اسمه وسمعة قاطنيه؛ من موجبات النسبة إليه.

وفي الأخير، ومن خلال الأبعاد الأربعة السابقة المكونة لهرم الوطنية، ومن خلال ما سبق - أيضا - من أقوال لابن باديس - رحمه الله - يمكن إعطاء تعريف جديد للوطنية كالتالي:

«الوطنية علاقة روحية صادقة، ذات بعد تعبدي خالص، تربط الإنسان بالقطر الذي يستوطنه، وبالمجتمع الذي يعايشه، وبهويته الثقافية، وتجعله عمليا في خدمة أرضه، وشعبه، والمحافظة على هويته».

وفي هذا التعريف تم أخذ الأبعاد الأربعة السالفة الذكر بعين الاعتبار، ولكن بشرط أن تكون ذات أبعاد تعبدية خالصة، وفي هذا إشارة واضحة إلى رفض كثير من التطورات الدلالية لهذا المصطلح، التي لا تعْدُ - في غالبها - أن تكون ذات خلفيات سياسية قانونية، خاضعة لأفكار منظريها المتشبعين بالثقافة العلمانية.

ثانيا: أهم التطورات الدلالية لفكرة الوطنية:

عرفت فكرة الوطنية خلال كل العصور، وبين كل الشعوب، فأدبيات كثير من الأمم السابقة تمجد إخلاص الناس لبلادهم واستعدادهم للموت دفاعا عن حريتها وكرامتها، ولكن هذا الإخلاص لم يكن منبعه سوى حب غريزي لطبيعة الأرض بجبالها، وسهولها، وأنهارها[8]، وهذا حب فطري يستوي فيه الإنسان والحيوان، فالإبل تحن إلى معاطنها، والطيور تحن إلى أوكارها.

وبقيت فكرة الوطنية بهذا المدلول اللغوي المقتصر على مجرد الانتساب الجغرافي حتى بزغ فجر الإسلام منيرا غياهب هذه البسيطة، فأقر المدلول اللغوي للوطنية، ثم زيّنه وجمّله بحلة زاهية قشيبة، وعباءة مقدسة جميلة، هي عباءة الشرع، وذلك عن طريق المزاوجة بين الانتماء الجغرافي والانتماء الديني المعبر عنه حديثا "بالانتماء الثقافي"، أو "الهوية"، وهذا لكي لا تطغى المحبة الفطرية التي يغذيها الانتماء الجغرافي على القيم الدينية والمبادئ الإسلامية؛ وبهذا أضحت فكرة الوطنية ذات صبغة دينية، تحمل في طياتها أبعادا تعبدية.

واستمر الأمر على هذا الحال خاصة في الدول الإسلامية، إلى أن قامت الدولة الغربية الحديثة، التي تعتبر نتاجا حتميا لثورة فكرية أيديولوجية، أراد منظروها كسر قيود السلطة الدينية، والتحرر من هيمنتها، والتخلص من تجاوزات الكنيسة ورجال الدين، فسعوا إلى تأسيس دولة حديثة، تقوم على أساس القومية الوطنية، التي تتخذ من فصل الدين عن الدولة مبدأً لها،

ومن حرية المعتقد وحرية الرأي والتعبير - مهما كان مخالفا ومتصادما مع الهوية العقدية السائدة - شعارا لها.

ومن أبرز معاني الوطنية التي قامت على أساسها الدولة الغربية الحديثة: القضاء على كل الانتماءات القديمة، سواء كانت دينية، أو قبلية، أو حزبية، أو غير ذلك، والإبقاء على انتماء واحد فقط يُعقد عليه الولاء والبراء، وتتحدد بموجبه الحقوق والواجبات، وهو "الانتماء الجغرافي". وبهذا عرفت فكرة الوطنية تقهقرا واضحا في تبلورها وتطورها الدلالي، حيث رجعت إلى النقطة التي بدأت منها، ولكن بخلفيات سياسية وأخرى قانونية محكومة بذهنيات منظريها.

ومع بداية تدهور أوضاع الدول العربية بصفة خاصة، والإسلامية بصفة عامة، أخذت دول الغرب في زرع بذور مبدئهم العلماني في المستعمرات التي بسطت نفوذها عليها، تحت غطاء ما أسموه "حق المواطنة"؛ ليصلوا من وراء تطبيقه في البلدان المستعمَرة إلى إدماج شعوب تلك البلدان في أوطان مستعمريها، وتذويب شخصيتهم الوطنية الأصيلة، وكسر شوكة هويتهم الثقافية، بتقويض بنيان لغتهم، وهدم أركان دينهم. وهذا كله تحت عبارات رقراقة، وشعارات براقة يكفلها حق المواطنة، كحرية الرأي والتعبير، وحرية المعتقد، وحرية المرأة ومساواتها مع الرجل، وغيرها من الشعارات التي ظاهرها فيه الرحمة، وباطنها من قبله العذاب.

ومن بين تلك البلدان "الجزائر"، التي أبت أرضها أن تُزرع فيها بذور العلمانية، وأبى شعبها أن يرتدي رداء الوطنية الموهومة المذمومة المكذوبة، ومن ذلك «ما تقدم به الجنرال دوغول في شهر مارس سنة 1944م من إصلاحات، وأهمها ما سمي آنذاك بحق المواطنة الفرنسية للجزائريين، الذي ندد به الشيخ الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء، على أنه خطوة نحو إدماج لا يرضى به الشعب المسلم بأي ثمن»[09].

المطلب الثاني: موقف الإمامين عبد الحميد ابن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي من فكرة الوطنية:

كثر في السنوات الأخيرة النقاش حول "الوطنية" بمفهومها الحديث، الذي يحدد الحقوق والواجبات ويعقد الولاء والبراء على مجرد الانتماء الجغرافي، وقد انقسم الناس في هذا النقاش إلى ثلاثة أصناف:

1- صنف يحذر من فكرة الوطنية ويحاربها، ويرى الدعوة إليها فسوقا قد يصل إلى حد الكفر؛ لأنها في نظره فكرة جاهلية ذات خلفية علمانية، لا تراعي الدين في أي حال، ولا يخطر لها على بال.

1- وصنف آخر من الناس يقدسها ويجعلها معقد الولاء والبراء، ويلوي في سبيل التأصيل لها والتدليل عليها أعناق النصوص الشرعية، ويحملها ما لا تحتمل.

1- وصنف ثالث وسط بين الصنفين السابقين، فلم يقبل فكرة الوطنية مطلقا، كما لم يردها مطلقا، بل تعامل معها بعدل وإنصاف، فجردها أولا من الثقافة الغربية التي غُلِّفت بها، ومن الهوية العلمانية التي غُلِّبت فيها، ثم قام بإخضاعها للقيم الإسلامية والمبادئ الربانية التي دلت عليها النصوص الشرعية، فما كان موافقا لها أخذه وقبله، وما كان مخالفا لها رده وأبطله.

وما ذهب إليه أصحاب هذا الصنف الأخير هو الموقف الشرعي الصحيح الذي تعضده النصوص الشرعية، ويوافق القيم الإسلامية، وهو أن تكون الوطنية مربوطة بالهوية الإسلامية، ومحكومة بها لا حاكمة عليها، وهذا الرأي هو الذي تبناه كل من الإمامين عبد الحميد ابن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي - رحمهما الله - ، حيث لم يجرِ على لسانهما - في الغالب - ذكر للوطنية إلا موصوفة بكونها إسلامية، أو صادقة، أو عادلة، أو صحيحة.

ومن ذلك أن الإمام ابن باديس - رحمه الله - قسّم الناس باعتبار تفاوت فهمهم للوطنية أربعة أقسام[10]، ثم اختار القسم الذي وجد في فهم أصحابه دقة وصوابا، ورأى في فكرهم نضجا ووضوحا، وذكر بأنه «هو الوطنية الإسلامية العادلة»[11]. وفي كلام آخر له صرح بأن النهضة الوطنية التي دعت إليها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين محكومة بالدين وليست حاكمة عليه، وأنها تنتج وطنية صادقة فقال - رحمه الله - : «نهضتنا نهضة بنينا على الدين أركانها، فكانت سلاما على البشرية» إلى أن قال: «وتحفظ علينا جنسيتنا وقوميتنا، وتربطنا بوطنيتنا الإسلامية الصادقة»[12].

أما الإمام البشير الإبراهيمي - رحمه الله - فقد كان أكثر صراحة في التعبير عن الوطنية الحقيقية التي يتبناها، فقال: «والذي روحي بيده لا تقوم لنا قائمة حتى نرجع إلى الوطنية الكبيرة، الجامعة الواسعة، اللامعة النافعة، وهي وطنية الإسلام»[13]، وقال أيضا: «الوطنية مكرمة، ولكن وطنية الإسلام أكرم، وميدانها أوسع، وصاحبها أعز نفرا، وأقوى ناصرا، وأكثر عديدا»[14].

ولما كانت الوطنية الحقيقية هي المحكومة بالإسلام، والمضبوطة بتعاليمه، استلزم الحال توسيع دائرتها من الوطنيات الجغرافية الضيقة، التي لا تَعْدُ أن تكون مجرد انتماء شكلي إلى جنسيات معينة، إلى الوطنية الإسلامية الواسعة، التي تجمع بين الوطنيات الضيقة والجنسيات المختلفة بالعقيدة الإسلامية الجامعة، وهذا ما دعا إليه الإمام البشير الإبراهيمي - رحمه الله - في

قوله: «وأنا بصفتي عالما مسلما لا أقول بالعصبيات الجنسية، والوطنيات الضيقة، وإنما أدعو إلى الوطنية الواسعة، والعقيدة الروحية الجامعة، فإذا تمت ورسخت أصولها في النفوس فإنها لا تنافي التمسك بالجنسيات من غير تعصب»[15]. كما ذهب ابن باديس إلى توسيع دائرة الوطنية تحت مظلة الإسلام، فذكر أن الإنسان كما يجد صورته في بيته ووطنه الصغير، يجدها كذلك في أمته ووطنه الكبير، ويجدها في وطنه الأكبر الإنسانية كلها، وهذه هي الوطنية الإسلامية العادلة بحد تعبيره، التي تنزل كل وطنية منزلتها، وتبنيها على ما قبلها وفق ترتيبها الطبيعي، غير عادية ولا معدو عليها[16].

وبهذا يكون ابن باديس وصنوه البشير الإبراهيمي - رحمها الله - قد مهدا الطريق في قلوب الناس لبسط هيمنة الشريعة الإسلامية على جميع الأفكار والمبادئ التي كان الاستعمار يُصدّرها معلبة نحو الجزائر، كما أسهما بشكل كبير وواضح في التمييز بين الوطنية الحقيقية التي تُقِضُّ على العلمانيين مضاجعهم وبين ما يتشدق به أساطين الغرب ومن نهج نهجهم من الوطنية العلمانية الضيقة العطن، المبنية على العصبيات الجنسية، والنعرات القومية الجاهلية.

وكخلاصة يمكن القول بأن جعل الوطنية مجرد انتماء جغرافي تتحدد بموجبه الحقوق والواجبات، ويُعقد عليه الولاء والبراء أمر فاسد، ومحدث، ودخيل. فهو فاسد لأنه يقضي بأن المواطن وإن كان يهوديا، أو نصرانيا، أو ملحدا، أفضل من المسلم غير المواطن، وفي هذا مخالفة صارخة للقيم الإسلامية، وتمييع واضح لمبدأ الولاء والبراء الذي هو من أوثق عرى الإيمان. ومُحْدَث؛ لكون الأمة الإسلامية لم تعهده في غابر عزها، وسالف مجدها. ودخيل؛ لأنه صُدّر إلى الأمة العربية والإسلامية معلبا بهوية علمانية، وثقافة غربية.

المطلب الثالث: معالم الوطنية الصالحة والفرق بينها وبين الوطنية الطالحة:

أولا/ معالم الوطنية الصالحة:

إن تقييد الوطنية الصالحة بكونها محكومة بقيم الإسلام وأحكامه وتعاليمه لا يعني أن نحصرها في جدران المساجد، أو أن نجعلها حكرا على المسلمين فقط، فهذه نظرة علمانية ضيقة؛ ولكن الوطنية الإسلامية التي غرس بذورها ابن باديس والبشير الإبراهيمي - رحمها الله - وطنية واسعة النطاق، ومتنوعة المعالم، فهي التي تحافظ على الأسرة بجميع مكنوناتها، وعلى الأمة بجميع مقوماتها، وتحترم الإنسانية في جميع أجناسها وأديانها؛ فهي تخاطب البشرية كلها في جميع أجناسها بقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾ [الإسراء: 70]، وتخاطبها في جميع أديانها باحترامها

وتسليم أمر التصرف فيها لأهلها بقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: 06]، وتخاطب جميع الأمم والأوطان بقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: 61]، وبقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 194]، وتقرر التضامن الإنساني العام بأن الإحسان إلى واحد إحسان إلى الجميع، والإساءة إلى واحد إساءة إلى الجميع في قوله تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32]، وتأمر بالعدل العام مع العدو والصديق في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ [المائدة: 08]، وتحرم الاعتداء تحريما عاما على البغيض والحبيب في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ [المائدة: 02]، وتأمر بالإحسان العام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: 90]، وتأمر بحسن التخاطب العام في قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83]؛ فهذه هي المعالم الحقيقية للوطنية الصالحة التي يجب أن يتصف بها المسلمون الجزائريون، ووطنية كل مسلم صادق في إسلامه ووطنيته[17].

ثانيا: الفرق بين الوطنية الصالحة والطالحة:

أ ـ الوطنية الصالحة عبارة عن مزاوجة بين انتماءين: الجغرافي والثقافي، فالأول انتساب إلى قطر معين، والثاني انتساب إلى معتقدات وقيم ومعايير معينة، أي إلى هوية، وبهذا الانتماء الأخير تضبط وتتحدد الوطنية الصالحة من الطالحة، فلا يمكن أن نتصور وطنية صالحة من غير أن تضبط وتربط بهوية معينة.

أما الوطنية الموهومة التي يتشدق بها أذناب الغرب، فهي لا تَعْدُ أن تكون مجرد انتماء جغرافي دون هوية تُذكر، وحتى وإن وجدت فهي هوية علمانية غير منتجة لأثار الوطنية، وحينها كبر على الوطن أربعا؛ لأنه لا يَعْدُ من دون الدين أن يكون مجرد قطعة أرض موات تتكالب عليها الأمم، وفي هذا يقول البشير الإبراهيمي رحمه الله: «الوطن إذا جرد من هذين [أي اللغة والدين] لم يَعْدُ أن يكون قطعة أرض موات يحوزها من طلب أو من غلب»[18]. فشجرة الوطنية لا يمكن أن تورق أغصانها، أو أن تزهو ثمارها، إلا إذا غرست بأيدي طاهرة، وسقيت بهوية دينية، وتعهّدَ تحريك تربتها وتقليم الزائد من أغصانها المتشبعون بتعاليم الشريعة وقيم الإسلام.

ب . في الوطنية الصالحة محبة الدين والتوحيد أقوى من محبة الوطن ومقدمة عليها، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ

اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: 24]، فالآباء، والأبناء، والإخوان، والأزواج، والعشيرة، عبارة عن النسيج الذي يتكون منه المجتمع، والمساكن عبارة عن القطر المعمور، فحذر المولى - عزّ وجلّ - من تقديم محبة هذه الأشياء التي تمثل النسيج الذي يتكون منه الوطن (الشعب والأرض) على محبته أو محبة رسوله صلى الله عليه وسلم، بل حذر حتى من تقديمها على محبة الجهاد في سبيله؛ لأن محبة الله ورسوله تمثل محبة الدين، والدين هو الأساس الذي يُعقد عليه الولاء والبراء، وما هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة المنورة إلا دليل على تقديم رابطة الدين على رابطة الوطن، كما أنها درس عظيم في الوطنية، لا يفقهه دعاة الوطنية العلمانية، الذين يجعلون انتماءهم للحجارة والطين.

بخلاف الوطنية الطالحة التي يتغنى بها الغرب ومن لف لفهم، فرابطة الوطن عندهم مقدسة، لا يرضون أن يشركوا معها غيرها، فهي معقد الولاء والبراء عندهم.

ج ـ في الوطنية الصالحة الناس كلهم متساوون باعتبار أصل البشرية، وإنما يقع التفاضل بينهم باعتبار الأمور الدينية، ودليل ذلك من القرآن قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات: 13]. فدلت الآية على أن جميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء سواء، وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية، وهي طاعة الله ومتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم[19]، وفي معنى هذه الآية يقول ابن باديس - رحمه الله - : «يبيّن أنهم كانوا أجناسا للتمييز لا للتفضيل، وأن التفاضل بالأعمال الصالحة فقط»[20].

ودليله من السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلا لا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلا عَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلا بِالتَّقْوَى. إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ. أَلا هَلْ بَلَّغْتُ؟). قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله. قَالَ: (فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ)[21].

وقد يتوهم البعض أن المفاضلة بين الناس باعتبار الدين مخالفة لمبدأ المساواة، وهذا خطأ؛ لأن المفاضلة باعتبار الدين تكون خاضعة لمبدأ العدل لا المساواة، وفرق شاسع بين العدل والمساواة، فالعدل في قسمة الميراث - مثلا - لا يعني مساواة الذكر للأنثى، والعدل مع أهل الذمة لا يستلزم مساواتهم للمسلمين في الأمور الدينية، وهكذا.

أما الوطنية الطالحة فلا يقيم أدعياؤها للأمور الدينية وزنا، ولا يرفعون لأهلها شأنا، فكل الناس عندهم سواء، المؤمن والملحد، الطاهر والعاهر، لا فرق بينهم البتة، إلا في مدى ولاء كل فرد منهم للوطن، والقيام بواجباته تجاهه. ولعمر الله إن هذا لمن أبطل الباطل، يغني بطلانه عن إبطاله، وفساده عن إفساده، إذ كيف يستوي من يعبد الله وحده مع من يجحد وجوده أو يشرك معه غيره؟ أم كيف يستوي حامل القرآن مع مدمن الخمر والمخدرات؟ كيف يستوون والله - عزّ وجلّ - يقول في محكم تنزيله: ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾ [الجاثية: 21]، ويقول: ﴿**أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ**﴾ [ص: 28]، ويقول: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الزمر: 09].

المطلب الرابع: أسس الوطنية في نظر الإمامين عبد الحميد ابن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي:

إن لكل مبدإ دعائم يرتكز عليها، وأسسا يستند إليها، وإن من أهم أسس ودعائم الوطنية التي دعا إليها رائدا الحركة الإصلاحية في الجزائر أربعة أسس: العلاقة الروحية التي تربط الشعب بأرضه، والهوية الثقافية، والعلم الصحيح، والعمل النافع. فالدعامتان الأولى والثانية هما الساقان اللتان تحملان جسد الوطنية الصالحة، والدعامتان الثالثة والرابعة هما الجناحان اللذان تحلق بهما في سماء الوطنيات.

الدعامة الأولى: العلاقة الروحية التي تربط بين الشعب وأرضه:

أشار الشيخ ابن باديس - رحمه الله - إلى هذا الأساس في معرض شرحه للحديث الذي روته أمنا عائشة - رضي الله عنها - من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه، أو كانت به قرحة أو جرح، قال النبي صلى الله عليه وسلم بإصبعه هكذا، [ووضع سفيان - أحد رواة الحديث - سبابته بالأرض]، ثم رفعها وقال: (بِاسْمِ اللَّهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، لِيُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا)[22]. فأشار الإمام ابن باديس - رحمه الله - من خلال هذا الحديث إلى درس عظيم في الوطنية، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم قد «علّم الناس من قبل أربعة عشر قرنا أن تربة الوطن معجونة بريق أبنائه تشفي من القروح والجروح؛ ليربط بين تربته وبين قلوبهم عقدا من المحبة، والإخلاص له؛ وليؤكد فيها معنى الحفاظ له، والاحتفاظ به؛ وليقرر لهم من منن الوطن منة كانوا عنها غافلين، فقد كانوا يعلمون من علم الفطرة أن تربة الوطن تغذي وتروي، فجاءهم من علم النبوة أنها تشفي. فليس هذا الحديث إرشادا لمعنى طبي، ولكنه درس في الوطنية عظيم، ولو أنصف المحدثون لما وضعوه في باب الرقى والطب، فإنه بباب حب

الوطن أشبه»[23]. ثم صرح - رحمه الله - بأن هذه العلاقة الروحية التي تربط بين تربة الوطن وقاطنيه تمثل صخرة الأساس في بناء الوطنية، فقال: «فليس السر في تربة وريق ومرض، ولكن السر في أرضنا وبعضنا ومريضنا، فهذه - والله ربنا - صخرة الأساس في بناء الوطنية والقومية، لا ما يتبجح به المفتونون»[24].

الدعامة الثانية: الهوية الثقافية:

إن من أهم الأجزاء المكونة للهوية الثقافية: الدين واللغة، وقد جعلهما الشيخ محمد البشير الإبراهيمي - رحمه الله - أثمن أجزاء الوطن، واعتبرهما أساسا متينا من أسس الوطنية، بل وجعلهما ميزانا توزن به الأعمال الوطنية، وأوجب على كل وطني مخلص أن يبدأ أعماله في خدمة الوطن بهما، وإن لم يفعل فهو - في نظره - مغموز في وطنيته، إما مدسوس فيها، أو متاجر بها، أو مخدوع عنها. فما بذل الاستعمار جهده كله في حرب الإسلام والعربية بهذا الوطن، إلا ليجرده من اسم "الوطن"، ويجرد أهله من صفة "الوطنيين"؛ لأن الوطن إذا جرد من هذين، لم يعدُ أن يكون "قطعة أرض موات" يحوزها من طلب أو من غلب؛ فالوطني الصميم هو المدافع عن دين وطنه، ولغة قومه، حتى يثبت أن هناك وطنا يُشَرِّف الانتساب إليه، وقومية يحسن الاعتزاز بها[25].

وقد أشار الإمام ابن باديس - رحمه الله - إلى أن الوطنية التي غرست بذورها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مبنية على أربعة أركان، وجعل من العروبة والإسلام الركنين الأول والثاني من تلك الأركان[26].

الدعامة الثالثة: العلم الصحيح:

فبالعلم الصحيح يبدل الله قسوة القلوب رحمة، وشدتها رأفة، وغلظتها رقة؛ فما ظهرت القسوة والشدة بين أبناء الوطن الواحد إلا لقلة العلم الصحيح، وقلة العلماء الصالحين المصلحين، يقول الإمام مالك - رحمه الله - (ت: 179هـ): «ما قلت الآثار في قوم إلا ظهرت فيهم الأهواء، ولا قلت العلماء إلا ظهر في الناس الجفاء»[27]. فالعلم فخر الأوطان، وأسّ الوطنية، ودليل سيادتها، وبهذا المعنى صرح الشيخ البشير الإبراهيمي - رحمه الله - بقوله: «والعلم - إن كنتم لا تعلمون - هو أساس الوطنية، وقطب رحاها، ومركز دائرتها، ودليل سيادتها. لا حق لكم على الوطن، بل الحق كله للوطن عليكم، فإن أوكد حقوقه عليكم أن تُحققوا بالعلم مطالبه، وتعمروا بالعلم جوانبه، وتنيروا غياهبه»[28]، ويقول أيضا - رحمه الله - مخاطبا أمته الجزائرية خاصة،

والإسلامية عامة: «أيتها الأمة! قلنا لك إن العلم هو عمارة الأرض، وأساس الوطنية، ومنشئ الوطنيين، وأرشدناك إلى أن العلم بالتعلم، وحثثناك على تكثير مدارسه»[29].

وقد جعل الإمام ابن باديس - رحمه الله - العلم أحد الأركان الأربعة للوطنية التي دعت إليها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[30]، كما جعله الشيخ البشير الإبراهيمي - رحمه الله - أقوى وسائل تحقيق الوطنية، فقال محذرا طلاب العلم من مخططات العدو: «إن الأقدار قد وضعت في طريقكم إلى العلم عائقا جديدا، هو شر العوائق، وأضرها.. هو هؤلاء الدعاة الغاشّون، والسماسرة المضلون، يدعونكم إلى السياسة ليصدوكم عن العلم، وإلى الحزبية ليفرقوكم من الجماعة، وإلى الوطنية ليشغلوكم باسمها عن حقيقتها، ويُلهوكم بلفظها عن تحصيل أقوى وسائلها، وهو العلم، إنهم يملأونكم بالخيالات صغارا، لتفرغوا من الحقائق كبارا، وإنه لنوع من التسميم المرجأ، لا يشعر به المصاب إلا بعد فوات الوقت»[31].

فما انتشر العلم في موطن إلا ونَعِمَ أهله بالأمن والسعادة، وغمرت قلوبهم برحمة الناس عموما، والمؤمنين خصوصا؛ لأنه كلما اتسع علم العبد اتسعت رحمته، لذا لما كان النبي صلى الله عليه وسلم أعلم الخلق بالله كان أرحمهم، وفيه قال تعالى: ﴿**بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ [التوبة: 128]، ولما كان الصحابة بعده أسعد الناس بهذا العلم كانوا أكثرهم رحمة، وفيهم قال تعالى: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾ [الفتح: 29]، ولما كان أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - أعلم الأمة بعد نبيها عليه الصلاة والسلام بإجماع المسلمين، قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: (أرحمُ أُمَّتي بِأُمَّتي أَبُو بكر)[32] [33].

ونختم الكلام عن هذا الأساس بنصيحة من الشيخ البشير الإبراهيمي - رحمه الله - إلى طلاب العلم، يغرس بها في نفوسهم بذور الوطنية الصالحة، فقال رحمه الله: «على الطلبة أمران: إقبال على العلم يصحبه إيمان بضرورته، وتحمل متاعبه. وانقطاع إليه يصحبه اعتقاد جازم بشرفه، وأنه نور الحياة، وأساس الوطنية، ورائد الحرية»[34].

الدعامة الرابعة: العمل النافع:

فالعمل ثمرة يانعة من بستان العلم، وزهرة فيحاء من حديقة الفهم، لا يوفق إليه على النحو السليم إلا من زاوج بينه وبين العلم؛ لأن العمل من دون علم من أخطر الرزايا، وأعظم البلايا؛ إذ وصف القرآن الكريم أصحابه بالضالين كما في آخر سورة الفاتحة. فالوطني كل الوطني هو الذي ينفع وطنه بالعمل، فالعامل المبرز في الاقتصاد، المزاحم للغريب عن خيراته، الذائد له عن موارده، وطنيّ

كامل الوطنية؛ والجيوش المرابطة في ثغور المدارس من المعلمين الذين ينزعون العصي من أيدي أبناء الأمة ويضعون فيها الأقلام هم الوطنيون الصادقون، وذاك الفلاح المتقن لفلاحته وطنيّ من الصميم، وهذا المتمول الذي يضع ماله في قطعة أرض يحفظها ويحسن استغلالها، فينتفع وينفع أبناء جنسه، لا في مقهى يجمع الشبان على البطالة والمجانة وفساد الأخلاق وقتل الوقت بالهذر الفارغ وطنيّ من الطراز الأول، أما الأقوال بلا أعمال، والدعاوى بلا بينات، فاسم الإجرام بها أولى"[35].

ويلخص لنا الإمام ابن باديس - رحمه الله - الأمر فيقول: «سيد الوطن هو الأعمل والأنفع في سبيله»[36]. فمن العمل الدفاع عن دين الوطن، وحفظ لغته، والمحافظة على سيادته وكرامته، والعمل على إعلاء مكانته بين الأمم، والحفاظ على مكتسباته من العبث بها، والإسهام في تنميتها وتطويرها، وغير ذلك من الأعمال التي يعود نفعها على الوطن وأبنائه.

المطلب الخامس: مقومات النهوض بالوطنية الصالحة:

في هذا المطلب سيتم عرض أهم المقومات التي تُكسب الوطن صلابة وشدة، وتزيده تماسكا وقوة، وتجعل من المتحلي بها مواطنا صالحا متشبعا بروح الوطنية، وأبرز هذه المقومات ما يلي:

1- المحافظةُ على سلامة الهوية الثقافية للأمة، من لغة ودين وقيم ومبادئ، والتمسك بها، والعضُّ عليها بالنواجذ، والعمل على غرسها في الناشئة. ولا يكون هذا إلا بالتحصيل العلمي الجاد، الذي رفع الله أهله في قوله: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة: 11].

2- حب الوطن، والفخر بالانتساب إليه، والعمل على غرس البعد التعبدي لهذا الحب في قلوب أبنائه، والاستماتة في سبيل الدفاع عنه باعتباره وطنا إسلاميا تقام فيه شرائع الدين لا باعتباره حجارة وطينا فقط، وكذا المحافظة على شرفه واستقرار أمنه، والعمل على سعادة وطمأنينة أهله. فكما قال الإمام ابن باديس - رحمه الله - : «لا شرف لمن لا يحافظ على شرف وطنه، ولا سمعة لمن لا سمعة لقومه»[37].

2- غرس حب العمل أيا كان نوعه - ما لم يكن مخالفا للدين - في نفوس الناشئة، وكذا حب العلم، وربطهم بأهله من العلماء الثقات العدول، وتذليل صعابه ببناء المدارس والمراكز التعليمية، والنهوض بها رفعة للوطن.

4- الحفاظ على مقدرات الوطن ومكتسباته الحسية والمعنوية، فكل ما يزخر به الوطن من خيرات هو ملك لجميع أفراده. فمن مقومات الوطنية الصالحة: حماية خيرات البلاد من العبث بها ومن نهبها، والمحافظة عليها كما يحافظ الواحد منا على أهله وبيته.

5- النصح العام لجميع أفراد الوطن، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، حكّاما أو محكومين. وهذا من أبرز المقومات الأصيلة التي يتميز بها الوطنيّ الصادق عن غيره. فبالنصح يُكمل النقص، ويُجبر الكسر، وتطيب الحياة؛ لذلك جعل النبي صلى الله عليه وسلم الدين محصورا فيه بقوله: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ)، فقيل: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ)[38].

6- طاعة ولاة الأمور في غير معصية، وطاعتهم تكون بتنفيذ أوامرهم إن لم تكن مخالفة للشرع، وببذل النصح لهم سرا، وليس على رؤوس المنابر أو في صفحات الجرائد، كما تكون - أيضا - بتجنب الطعن فيهم؛ لأن الطعن في ولاة الأمور ليس طعنا في شخصياتهم فقط، بل هو طعن في مناصبهم ومسؤولياتهم أيضا، وإذا طُعن في منصب الرئاسة، واعتاد الناس ذلك، سقطت هيبة الدولة من القلوب، وتيسرت سبل الفساد وطرق الغواية.

والدليل على تقييد الطاعة بالمعروف قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ [النساء: 59]، فقرن طاعة ولي الأمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يجعلها مستقلة بنفسها.

7- الأمر بالمعروف بمعروف، والنهي عن المنكر بمعروف، وقد جعله المولى - عزّ وجلّ - علامة خيرية هذه الأمة، فقال تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ [آل عمران: 221]. فالوطني الصادق هو الذي يصلح نفسه وغيره، ويحارب الفساد بكل أنواعه، من انحلال ديني وخلقي، وخمر، ومخدرات. وقد حدد لنا النبي صلى الله عليه وسلم طرق تغيير المنكر، فقال: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ)[39].

8- الحفاظ على اجتماع الصف، ووحدة الكلمة تحت راية الحق، ونبذ الفرقة والنزاع، ووأد العصبية الجاهلية التي يسعى أعداء الإسلام جاهدين لزرعها بين أبناء الوطن الواحد. وقد أشار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي - رحمه الله - إلى هذا المقوم في قوله: «لا يماري في لزوم الاتحاد إلا قصير النظر في العواقب، أو خادم لركاب الاستعمار من حيث يدري أو لا يدري، أو مدخول النسب في الوطنية، أو مغطى البصر في العصبية الحزبية»[40].

فمن صميم الوطنية الصالحة إخراس تلك الأفواه الناطقة، وإلجام تلك الألسن الناعقة، ولزوم جماعة المسلمين، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (عَلَيْكُمْ بِالْجَماعَةِ، وَإِيّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَماعَةَ)[41]. والمقصود بالجماعة هنا جماعة الإسلام، الذين يجتمعون على قول الحق وإظهاره.

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث يمكن الخروج ببعض النتائج، كالتالي:

- الوطنية الصالحة في نظر الإمامين عبد الحميد ابن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي - رحمهما الله - هي ما كانت محكومة بدين الإسلام لا حاكمة عليه.
- الوطنية التي غرس بذورها ابن باديس والبشير الإبراهيمي - رحمهما الله - وطنية واسعة النطاق، ومتنوعة المعالم، تحافظ على الأسرة بجميع مكنوناتها، وعلى الأمة بجميع مقوماتها، وتحترم الإنسانية في جميع أجناسها وأديانها.
- من الأمور الفارقة بين الوطنية الصالحة وغيرها؛ أن الولاء فيها للدين وفي غيرها للوطن، وأنها مضبوطة بمبدأي العدل والمساواة، وغيرها مضبوط بمبدأ المساواة فقط.
- حب الوطن إذا كان داعيا إلى موالاة المؤمنين، وكف الأذى والشر عن الغير، وحماية الدين، واجتماع الصف، ووحدة الكلمة، فهو من صميم الوطنية.
- الهوية الثقافية والعلاقة الروحية الرابطة بين الشعب والأرض هما القدمان اللتان تحملان جسد الوطنية الصادقة. والعلم الصحيح والعمل الصالح هما جناحا الوطنية اللذان بهما تحلق في سماء الوطنيات.
- من مقومات الوطنية الصالحة: حب الوطن، والمحافظة على سمعة أهله وسلامة عقيدته، وحب العلم والعمل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وطاعة ولي الأمر في المعروف، والحرص على جمع الشمل واتحاد الصف.

الهوامش:

(1) ينظر: ابن فارس، أحمد بن فارس الرازي، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، (1399هـ- 1979م)، (120/06)؛ ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط: 03، (1414هـ)، (451/13).

(2) **حسن لغيره:** أخرجه أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: 02، دن، كتاب الصلاة، باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود، حديث رقم: (862)، (ص: 152)؛ وحسنه الألباني بشواهده في "سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها"، مكتبة المعارف، الرياض، (1415هـ- 1995م)، تحت رقم: (1168)، (157/03).

(3) ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، (1399هـ- 1979م)، (204/05).

(4) مجموعة من المؤلفين، الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض، ط: 02، (1419هـ- 1999م)، (113/27).

(5) الصواب إثبات همزة وصل "ابن" في هذا الموضع، لأن الشيخ عبد الحميد ينسب إلى أبيه الأعلى، فوالده المباشر هو محمد بن مكي، أما باديس فالأب الأعلى وليس المباشر، وقد نبه الحريري (ت: 516هـ) على وجوب حذف الألف من "ابن" في مثل هذا الموضع، وذكر أنه يجب إثباتها في خمسة مواطن:

أحدهما: إذا أضيف ابن إلى مضمر كقولك: هذا زيد ابنك.

والثاني: إذا أضيف إلى غير أبيه كقولك: المعتضد بالله ابن أخي المعتمد على الله.

والثالث: إذا نسب إلى الأب الأعلى، كقولك أبو الحسن ابن المهتدي بالله.

والرابع: إذا عدل به عن الصفة إلى الخبر، كقولك: إن كعبا ابن لؤي.

والخامس: إذا عدل به عن الصفة أيضا إلى الاستفهام، كقولك: هل تميم ابن مرة.

ينظر: الحريري، القاسم بن علي، درة الغواص في أوهام الخواص، تحقيق: عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط: 01، (1418هـ- 1998م)، (ص: 246).

(6) عبد الحميد ابن باديس، آثار ابن باديس، تحقيق: عمار طالبي، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ط: 01، (1388هـ- 1968م)، (466/03- 467).

(7) المرجع نفسه، (467/03).

(8) مجموعة من المؤلفين، الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، (113/27- 114).

(9) ينظر: الإبراهيمي، محمد البشير، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 01، (1997م)، (17/02).

(10) وهذه الأقسام الأربعة كالتالي:

أ- قسم لا يعرفون إلا أوطانهم الصغيرة – أي أهلهم وبيتهم – وهؤلاء هم الأنانيون الذين لا يكون منهم خير حتى لأقاربهم وأهل بيتهم.

ب- وقسم يعرفون وطنهم الكبير – أي بلدهم – فيعملون في سبيله كل ما يرون فيه خيره ونفعه، ولو بإلحاق الضرر بالأوطان الأخرى، وهؤلاء شر وبلاء على غير أممهم، بل وعلى أممهم، فهم مصيبة البشرية جمعاء.

ج- وقسم ثالث أنكروا وطنيات الأمم، وأنكروا أديانها، وزعموا أنهم لا يعرفون إلا الوطن الأكبر- أي الأرض جمعاء – فعاكسوا بذلك الطبيعة، وهؤلاء دلائل الفشل على تجربتهم بادية، ومعالم الخزي عليها واضحة.

د- أما القسم الرابع فهو الذي اعترف بهذه الوطنيات كلها، ونزلها منازلها، غير عادية ولا معدو عليها، ورتبها ترتيبها الطبيعي في تدرجها، كل واحدة مبنية على ما قبلها، ودعامة لما بعدها.

وآمن– هذا القسم– بأن الإنسان يجد صورته في بيته ووطنه الصغير، وكذلك يجدها في أمته ووطنه الكبير، ويجدها في الإنسانية كلها وطنه الأكبر. وهذا الرابع هو الوطنية الإسلامية العادلة.

ينظر: ابن باديس، آثار ابن باديس، مرجع سابق، (367/03– 368).

(11) المرجع نفسه: (368/03).

(12) المرجع نفسه: (557/03).

(13) الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، (102/04).

(14) المرجع نفسه: (328/04).

(15) المرجع نفسه، (102/05).

(16) ينظر: ابن باديس، آثار ابن باديس، مرجع سابق، (368/03).

(17) ينظر: المرجع نفسه، (235/03، 368).

(18) الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، (161/03).

(19) ينظر: ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط: 01، (1415هـ– 1994م)، (255/04).

(20) ابن باديس، آثار ابن باديس، مرجع سابق، (234/03).

(21) **صحيح:** أخرجه البيهقي، أحمد بن الحسين الخراساني، شعب الإيمان، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط: 01، (1423هـ– 2003م)، حديث رقم: (4774)، (132/07). وصححه الألباني في "سلسلة الأحاديث الصحيحة"، مرجع سابق، ط: 01، (1416هـ– 1996م)، تحت رقم: (2700)، (449/06).

(22) **متفق عليه:** أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية، القاهرة، ط: 01، (1400هـ)، كتاب الطب، باب رقية النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: (5745)، (44/04)؛ ومسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، دار طيبة، الرياض، ط: 01، (1427هـ– 2006م)، كتاب السلام، باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة، حديث رقم: (2194)، (1046/02).

(23) ابن باديس، آثار ابن باديس، مرجع سابق، (118/02).

(24) المرجع نفسه، (119/02).

(25) ينظر: الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، (160/03– 161).

(26) ينظر: ابن باديس، آثار ابن باديس، مرجع سابق، (557/03).

(27) الهروي، عبد الله بن محمد، ذم الكلام وأهله، تحقيق: عبد الرحمان الشبل، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط: 01، (1418هـ– 1998م)، (79/05).

(28) الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، (315/03).

(29) المرجع نفسه، (222/02).

(30) ينظر: ابن باديس، آثار ابن باديس، مرجع سابق، (557/03).

(31) الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، (315/03).

(32) **صحيح:** أخرجه الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط: 01، دن، كتاب المناقب،

باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم، حديث رقم: (3790)، (ص: 856). وصححه الألباني في "سلسلة الأحاديث الصحيحة"، مرجع سابق، تحت رقم: (1224)، (223/03).

(33) ينظر: توفيق عمروني، افتتاحية مجلة الإصلاح، مجلة جامعة تصدر عن دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الجزائر، السنة الخامسة، العدد السابع والعشرون، رمضان / شوال 1432هـ، الموافق لـ: سبتمبر / أكتوبر 2011م، (ص: 01).

(34) الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، (02 / 198).

(35) ينظر: المرجع نفسه، (03 / 572- 573).

(36) ابن باديس، آثار ابن باديس، مرجع سابق، (466/03).

(37) المرجع نفسه، (467/03).

(38) أخرجه مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، حديث رقم: (55)، (44/01).

(39) المرجع نفسه، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص ....، حديث رقم: (49)، (42/01).

(40) الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، (305/03).

(41) **صحيح:** أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، كتاب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في لزم الجماعة، حديث رقم: (2165)، (ص: 489). وصححه الألباني في كتابه "صحيح الجامع الصغير وزيادته"، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: 03، (1408هـ- 1988م)، حديث رقم: (2546)، (ص: 498- 499).